جامعة القدس المفتوحة

منطقة سلفيت التعليمية

برنامج التربية – اللغة العربية وأساليب تدريسها

بحث بعنوان :

النزعة الدينية في شعر أحمد شوقي

إعداد الطالبة :

لبابة محمد عبد الرحمن شتيه.

إشراف الدكتور :

وجـــيـــه السالم .

قدّم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة البكالوريوس في التربية تخصص اللغة العربية وأساليب تدريسها.

الفصل الدراسي الثاني

سلفيت – فلسطين

٢٠١١

إهـــداء :

إلى كلّ الأقلام التي تنبض أدباً فتُبدع فنّاً ، وترسم من الحروف لوحاتٍ خالدة تلامس خلجات النفس فترويها . . . أهدي لكم هذا العمل المتواضع .

إلى كلّ القلوب التي تتذوق عذْبَ الشعر ، وتطرب لعزف القوافي ، وتقدّر مَنْ يُعدّ حقاً من عظماء الأدب و أعلام الشعر . . . أسجل احترامي لكم وأهديكم ما أطمح أن يرضي تعطش أرواحكم لمناهل الأدب .

إلى روحِ أميـــر الشعـــراء ، شاعر الإسلام – كما أحبَّ أن يُلقب –، و شاعر الأخلاق ، أحمد شوقي رحمه الله ، أردّ لك بعضَ العرفان الذي جُدتَ به على الأدب بعامة والشعر بخاصة ، أهدي هذا العمل وما هو إلا قطْفٌ يسير من رَوض أزهارك . . .

"نحن لا نكتب إهداءً سوى للغرباء، وأما الذين نحبهم فهم جزء من الكتاب وليسوا في حاجة إلى توقيع في الصفحة الأولى"

شكر وتقدير :

الكلمات لنْ تكونَ كافية ... فاسمحوا لي أن أسجل المشاعر قبل الكلمات ، واقبلوا مني باقاتٍ من القلب ورودها صدق محبتكم ، وعبقها كل العرفان لكم ..

أمّي الحبيبة : لا أعرف كم يختزل مجرد ذكرك من عبارات الشكر والثناء،ولكنه بالتأكيد يختصر الكثير ، أقبّل يديكِ وأطلبُ رضاكِ ولن أقول شكراً فأنت فوقَ هذا .

أبي الغالي : ربما أحتاجُ لإضافة فصلٍ جديد في بحثي هنا ، لأحدثهم عن روعتك ،وأخبرهم عن قدوتي ... أشكرك ، أقبّل يديك وأطلب رضاك .

أشكرُ كلّ أفراد عائلتي الأعزاء الذين كان لنصائحهم وتوجيهاتهم كلّ الأثر في تشجيعي على المثابرة والنجاح .. أخي العزيز عبد الرحمن و زوجته العزيزة هبة ، أختي العزيزة ميمونة وزوجها العزيز شادي ، أخويّ الغاليان عامر وعبد الله ..

صديقة العمر ورفيقة الدرب وتوأم الروح ... أسماء ، سهرتِ معي ليلةً بليلة وأنا أكتب هذا البحث ، وما زالت كلماتك تُذكي الهمّة في نفسي ، قبل الشكر لكِ صادق المحبة وبعد الشكر لكِ خالص المودة ... دمتِ صديقة القلب .

دكتوري الفاضل ، الأديب والشاعر وجيه السالم المحترم ، و نحن نخطو نحو تخرجنا اليوم من بين يديك نسجل أسمى عبارات الشكر والثناء ، ونغبط أنفسنا على فرصة الاستفادة منكم، لك من طالبتك كل التقدير والاحترام ..

محبتكم : لبابة

قائمة المحتويات :

الموضوع	الصفحة
– **إهداء.**	١
– **شكر وتقدير .**	٢
– **قائمة المحتويات.**	٣
– **مقدمة**	٤
الفصل الأول :	٥
- نبذة مختصرة عن حياة الشاعر أحمد شوقي.	٦
- الحياة العامة في مصر وأثرها في توجه شوقي الإسلامي .	١١
- أغراض الشعر و موضوعاته عند شوقي.	١٣
الفصل الثاني :	١٨
- شوقي والشخصية المزدوجة .	١٩
- هل كانت النزعة الدينية ظاهرة في شعر شوقي؟.	٢٢
- جوانب شعر شوقي الإسلامي .	٢٤
الفصل الثالث :	٤٢
- سمات شعر شوقي الإسلامي.	٤٣
– خاتمة.	٤٧
– المصادر والمراجع	٤٨

مـــقـــدمـــة :

أمامَ العظماء تحتار المقدمات ، فقد قدّموا أنفسهم بأنفسِهم ، و كفونا مؤونة فعل ذلك. .

وجعلوا مجرد ذِكرهم سجّلاً يحملُ معه تاريخاً عريقاً من حياةٍ زاخرة . .

و أمّا إن كانَ الحديثُ عن الشِعر ، فللمقدمات فصول أخرى تتعب الأقلام في تدوينها وتترك لحروف القوافي مهمةَ إيصال الرسالة ..

و أمّا أميـــــر الشعراء ، فيحمل الحديث عنه تفاصيل تتشعب وتترامى أطرافها في كل باب، لذا آثرتُ هنا أنا أختار من جواهر عِقدهِ أنفسها وأعظمها .. إنها جوهرة الإسلام ، التي راق لشوقي أن يكسوها قصائده ، وأن يطوف حول كعبةِ معانيها، مستلهماً تلك المعاني العظيمة التي ولدتْ معه ونشأت بين حنايا نفسه ، حتى وهو غيرُ عربيّ الأصل ، وهذا ما أعطى لتلك النزعة ذلك الزخم في شعره،وأكّد لكلّ من ارتاب أنها كانت نزعة دينية خالصةً من الرياء والرتابة .

هذا إذن هو موضوع الوريقات القادمة ، حاولتُ أن أستوفي جوانبه – وأعلمُ أني ما فعلت– ولكنّ الهدف الأساسي كان إعطاء فكرة عامة حول هذا الموضوع ، الذي ربما جهله كثيرون عن أحمد شوقي . . .

بدأتُ البحث بالحديث بشكلٍ عام عن حياة شوقي ، نشأته ، أعماله الشعرية ، ومواضيعه التي نظم فيها ، و حاولت رصد شكل الحياة التي عايشها شوقي ونشأ فيها للوقوف على أثرها في شعره بعامة والديني منه بخاصة ، وثمّ شرعت في استقصاء جوانب شعره الدينية المباشر منها وغير المباشر مع التمثيل لذلك بنماذج من شعره،لتصل الفكرة على وجهها الأكمل،و بعد ذلك حاولتُ استخلاص أهمّ السمات التي اتصف بها شعره الديني ، كإيراده المصطلحات الدينية واستلهام المعاني القرآنية وغيرها . . . راجية من الله أن أكون وفقت في ذلك

بقلم الطالبة :

لبابة محمد

الفصل الأول :

- حياة الشاعر أحمد شوقي.
- الحياة العامة في مصر وأثرها في توجه شوقي الإسلامي .
- أغراض الشعر و موضوعاته عند شوقي.

حياة الشاعر أحمد شوقي :

حياته :

"أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك ملقب بأمير الشعراء (١٨٦٨ – ١٩٣٢)، شاعر مصري من أصل شركسي ومن مواليد القاهرة. يعتبره منير البعلبكي أحد أعظم شعراء العربية في جميع العصور حسبما ذكر ذلك في قاموسه الشهير (قاموس المورد). لدى عائلته أصول كردية، ولكن أبويه ولدا وكبرا في مصر.

ولد أحمد شوقي بحي الحنفي بالقاهرة لأب شركسي وأم من أصول يونانية، وكانت جدته لأمه تعمل وصيفة في قصر الخديوي إسماعيل، وعلى جانب من الغنى والثراء، فتكفلت بتربية حفيدها ونشأ معها في القصر، ولما بلغ الرابعة من عمره التحق بكُتّاب الشيخ صالح، فحفظ قدرًا من القرآن الكريم وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة "المبتديان"الابتدائية، وأظهر فيها نبوغًا واضحًا كوفئ عليه بإعفائه من مصروفات المدرسة، وانكب على دواوين فحول الشعراء حفظًا واستظهارًا، فبدأ الشعر يجري على لسانه.

وهو في الخامسة عشرة من عمره التحق بمدرسة الحقوق سنة (١٣٠٣هـ = ١٨٨٥م)، وانتسب إلى قسم الترجمة الذي قد أنشئ بها حديثًا، وفي هذه الفترة بدأت موهبته الشعرية تلفت نظر أستاذه الشيخ "محمد البسيوني"، ورأى فيه مشروع شاعر كبير".

ثم بعد ذلك سافر إلى فرنسا على نفقة الخديوي توفيق، "وقد حسمت تلك الرحلة الدراسية الأولى منطلقات شوقي الفكرية والإبداعية. وخلالها اشترك مع زملاء البعثة في تكوين (جمعية التقدم المصري)، التي كانت أحد أشكال العمل الوطني ضد الاحتلال الإنكليزي. وربطته حينئذ صداقة حميمة بالزعيم مصطفى كامل، وتفتّح على مشروعات النهضة المصرية.

طوال إقامته بأوروبا، كان فيها بجسده ، بينما ظل قلبه معلقًا بالثقافة العربية وبالشعراء العرب الكبار وعلى رأسهم المتنبي. ولذا، ظل تأثره بالثقافة الفرنسية محدودًا، ولم ينبهر بالشعراء الفرنسيين الرمزيين والحداثيين أمثال رامبو وبودلير وفيرلين الصاعدين آنذاك.

نلاحظ أن فترة الدراسة في فرنسا، وبعد عودته إلى مصر، كان شعر شوقي يتوجه نحو المديح للخديوي عباس، الذي كانت سلطته مهددة من قبل الإنجليز، ويرجع النقاد التزام أحمد شوقي بالمديح للأسرة الحاكمة إلى عدة أسباب منها أن الخديوي هو ولي نعمة أحمد شوقي، وثانيا الأثر الديني الذي كان يوجه الشعراء على أن الخلافة العثمانية هي خلافة إسلامية وبالتالي وجب الدفاع عن هذه الخلافة.

لكن هذا أدى إلى نفي الشاعر من قبل الإنجليز إلى اسبانيا ،١٩١٥ وفي هذا النفي اطلع أحمد شوقي على الأدب العربي والحضارة الأندلسية، بالإضافة إلى قدرته التي تكونت في استخدام عدة لغات والاطلاع على الآداب الأوروبية، وكان أحمد شوقي في هذه الفترة مطلعاً على الأوضاع التي تجري في مصر، فأصبح يشارك في الشعر من خلال اهتمامه بالتحركات الشعبية والوطنية الساعية للتحرير عن بعد، وما يبث شعره من مشاعر الحزن على نفيه من مصر، ومن هنا نجد توجها آخر في شعر أحمد شوقي بعيدا عن المدح الذي التزم به قبل النفي، عاد شوقي إلى مصر سنة ١٩٢٠."

"في عام ١٩٢٧ بويع شوقي من شعراء العرب كافة على أنه أمير للشعراء، حيث اجتمع الشعراء العرب من كل الأقطار العربية في القاهرة ،وتنافسوا فيما بينهم فيمن يولونه أميراً للشعر العربي، وتشكلت اللجنة من شعراء وأدباء وكان من بينهم ،الشاعر الشهير حافظ إبراهيم شاعر النيل، وشاعر القطرين خليل مطران، واختارت اللجنة / أحمد شوقي أميراً للشعراء ، وأعلن حافظ إبراهيم باسمهم مبايعته بإمارة الشعر قائلاً :

بلابل وادي النيل بالشرق اسجعي بشعـــر أميـــر الدولتيـــن ورجِّـــع
أعيدي على الأسماع ما غردت به براعة شوقي في ابتداء و مقطـــع
أمير القوافي قـــد أتيتُ مبايعًـــا وهذى وفودُ الشرق قد بايعتْ معي"[١]

[١]- ضيف،٢٠١٠

شعره :

"منح الله شوقي موهبة شعرية فذة، وبديهة سيالة، لا يجد عناء في نظم القصيدة، فدائمًا كانت المعاني تنثال عليه انثيالاً وكأنها المطر الهطول، يغمغم بالشعر ماشيًا أو جالسًا بين أصحابه، حاضرًا بينهم بشخصه غائبًا عنهم بفكره؛ ولهذا كان من أخصب شعراء العربية؛ إذ بلغ نتاجه الشعري ما يتجاوز ثلاثة وعشرين ألف بيت وخمسمائة بيت، ولعل هذا الرقم لم يبلغه شاعر عربي قديم أو حديث.

كان شوقي مثقفًا ثقافة متنوعة الجوانب، فقد انكب على قراءة الشعر العربي في عصور ازدهاره، وصحب كبار شعرائه، وأدام النظر في مطالعة كتب اللغة والأدب، وكان ذا حافظة لاقطة لا تجد عناء في استظهار ما تقرأ؛ حتى قيل بأنه كان يحفظ أبوابًا كاملة من بعض المعاجم، وكان مغرمًا بالتاريخ يشهد على ذلك قصائده التي لا تخلو من إشارات تاريخية لا يعرفها إلا المتعمقون في دراسة التاريخ، وتدل رائعته الكبرى "كبار الحوادث في وادي النيل" التي نظمها وهو في شرخ الشباب على بصره بالتاريخ قديمه وحديثه.

وكان ذا حس لغوي،مرهف وفطرة موسيقية بارعة في اختيار الألفاظ التي تتآلف مع بعضها لتحدث النغم الذي يثير الطرب ويجذب الأسماع، فجاء شعره لحنًا صافيًا ونغمًا رائعًا لم تعرفه العربية إلا لقلة قليلة من فحول الشعراء.

وإلى جانب ثقافته العربية كان متقنًا للفرنسية التي مكنته من الاطلاع على آدابها، والنهل من فنونها، والتأثر بشعرائها، وهذا ما ظهر في بعض نتاجه وما استحدثه في العربية من كتابة المسرحية الشعرية لأول مرة.

وقد نظم الشعر العربي في كل أغراضه من مديح ورثاء وغزل، ووصف وحكمة، وله في ذلك أوابد رائعة ترفعه إلى قمة الشعر العربي، وله آثار نثرية كتبها في مطلع حياته الأدبية، مثل: "عذراء الهند"، ورواية "لادياس"، و"ورقة الآس"، و"أسواق الذهب"، وقد حاكى فيه كتاب "أطواق الذهب" للزمخشري، وما يشيع فيه من وعظ في عبارات مسجوعة.

وقد جمع شوقي شعره الغنائي في ديوان سماه "الشوقيات"، ثم قام الدكتور محمد صبري السربوني بجمع الأشعار التي لم يضمها ديوانه، وصنع منها ديوانًا جديدًا في مجلدين أطلق عليه "الشوقيات المجهولة".

وفاته :

ظل شوقي محل تقدير الناس وموضع إعجابهم ولسانَ حالهم، حتى إن الموت فاجأه بعد فراغه من نظم قصيدة طويلة يحيي بها مشروع القرش الذي نهض به شباب مصر، وفاضت روحه الكريمة في ١٣ جمادى الآخرة ١٣٥١ هـ / ١٤ أكتوبر ١٩٣٢م. "[١]

أعماله :

"تبلغ آثار أحمد شوقي أربعة عشرًا أثرًا منها ما هو في الشعر ومنها ما هو في النثر ومنها ما هو في المجال المسرحي.

أولاً / الأعمال الشعرية :

أ / **الشوقيات:** وهو ديوان يتكون من أربعة مجلدات، فالمجلد الأول اشتمل على السياسة والتأريخ والاجتماع، واشتمل المجلد الثاني على ثلاثة أبواب ؛ الباب الأول في الوصف والباب الثاني في النسيب، واشتمل الباب الأخير على متفرقات في الوصف والاجتماعيات والمناسبات، واشتمل المجلد الثالث على المراثي، واشتمل المجلد الرابع على قصاصات من صحف وبقية من مطبوعات رتبها الأستاذ سعيد العريان.

ب / **الشوقيات المجهولة:** جمعها ودرسها الدكتور محمد صبري، وهي أشعار ومقالات لأمير الشعراء ظلت مبعثرة هنا وهناك حتى جمعها الدكتور محمد،وتضم أكثر من ١٣٠ قصيدة أو ٤٠٠٠ بيت ،وزيادة على ذلك حوالي ألف بيت من المقطوعات والأبيات المتفرقة وحوالي ستين مقالة .

ج / **دول العرب وعظماء الإسلام:** وهي أرجوزة طويلة عدد أبياتها ١٧٢٩ بيت، عرض فيها التاريخ الإسلامي منذ إشراقة إسلامه إلى سقوط الدولة الفاطمية في مصر، منها ١٥٣ في السيرة النبوية الشريفة .

---

[١] - موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

ثانيًا / أعماله النثرية

* **أسواق الذهب:** وهي مجموعة مقالات اجتماعية جمعت عام ١٣٥١م، وله فيها أسلوب رائع شبيه بأسلوب فريد وجدي في الوجديات ، والسجع فيها جارٍ على الطبع ناءٍ عن التكلف، تخالطه الحكمة ويمازجه المثل، وتأتي فيه الصورة الأدبية رائعة مشرقة لا يكدر صفاءها افتعال . أما **المسرحيات؛** فإن من أجمل ما نظم أحمد شوقي مسرحية (مجنون ليلى)، التي لا تخلو من الروح الإسلامية، وكذلك مسرحية (عنترة) ،ومسرحية (مصرع كليوباترة) و (محمد علي بك الكبير)، وله ثلاث مسرحيات أخرى، وله تمثيلية نظمها نثرًا (وهي أميرة الأندلس) إبان نفيه لأسبانيا ، وله مسرحية (قمبيز) وله تمثيلية أخرى بعنوان (الست هدى)."[١]

[١] - موقع المكتبة الالكترونية الشعرية.

الحياة العامة في مصر وأثرها في توجه شوقي الإسلامي:

وبما أنّ هذا البحث يلقي الضوء بشكل أساسي على التوجه الديني في شعر أحمد شوقي ويرصد مظاهر هذا التوجه وتجلياته ، فكان لابد إذن من تمهيد لأخذ فكرة عن جوانب الحياة المختلفة (اجتماعية، دينية ، سياسة) التي عايشها شوقي ، والتي بدورها شكلت هذا التوجه الديني القويّ الملموس عنده،والذي يُلمس في جوانب شعره كافة .

"عاصر أحمد شوقي فترة مهمَّة من فترات تطوُّر العالم الإسلامي، فاندمج فيها بالإيجاب، وحاول أن يعبَّر عن همومه الوطنيَّة في إطار إسلامي خالص، ونستطيع أن نطلق على الفترة التي عاش فيها أحمد شوقي عصر التحدِّيات؛ إذ كانت التحديات التي واجهت المنطقة الإسلاميَّة من الجسامة بحيث راح الفكر الإسلامي يستعيد فتوَّته مرَّة أخرى للرَّدِّ عليها."[١]

أما عن الوضع السياسي والذي ارتبط بشكل وثيق بالمعاني الإسلامية والدينية ، فإن الدكتور مصطفى عبد الغني الناقد والكاتب في مجلة الأهرام،وفي مقال نشر في مجلة (الأدب الإسلامي) عدد(١٤) بتاريخ (١٤١٧هـ) يصف الأوضاع في ذلك الوقت بقوله "في النصف الثاني من القرن الماضي كانت تركيا دولة الخلافة الإسلامية تعاني من ويلات التطور، وهجمات الغرب، فراحت هذه الإمبراطورية التي سيطرت على العالم الإسلامي لقرون تهبط من عليائها قليلا، فشهدنا سقوط الجزائر في يد فرنسا، وما لبثت أن سقطت تونس في يد فرنسا أيضا عام ١٨٨١م، وجاءت إنجلترا لتحتل وادي النيل كله (مصر والسودان) عام1882 م، وتتابعت مناطق النفوذ، لتقع مراكش في يد الفرنسيين منذ عام ١٩٠٤م، وتحتل إنجلترا مناطق إسلامية أخرى بعيدة، ثم لا تنسى إيطاليا نصيبها من الغنيمة فتحتل طرابلس عام ١٩١٢م، ليمتد الاستعمار الغربي إلى بقية أجزاء العالم الإسلامي. وما لبث أن أضيف إلى عصر الاستعمار التخلف الذي سقطت فيه الولايات الإسلامية، ففي حين كان الغرب يوالي انتصاراته الحضارية، كانت الدول الإسلامية ترزح تحت كابوس الجهل والفقر والتخلف، مما مثل هزيمة أخرى للأمة الإسلامية.. الملاحظ أنه في عصر التحدي الغربي ظهرت – في المقابل – حالة الاستجابة من الإسلام، حتى إنه يمكن القول إن هذه الفترة التي تتحدد بنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن

[١] - موقع قصة الإسلام

العشرين هي فترة العصر الإسلامي المتمرد على القوى المعادية. وفي هذا اليمّ المضطرب كان أحمد شوقي أهم الرموز التي واجهت هذا المناخ الرديء، ومن ثم توالت نتاجاته الشعرية الدينية في شتى الاتجاهات وفي شتى المناسبات، في هذه الفترة يلاحظ د. أحمد الحوفي أن شوقي كان حفياً بدينه، إذ ساير كل الأحداث"[١]

أمّا الدكتورة سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، و في مقدمة كتابها (إسلاميات احمد شوقي : دراسة نقدية) تُجمِل الحديث عن الوضع السياسي الذي سنلاحظ أنّه ما زال يرتبط كثيراً بمفاهيم الإسلام والخلافة والأمّة ، قالت الدكتورة في معرض شرحها لمنهج كتابها " تناول الفصل الأول منها الخلفية السياسية لشعر شوقي الإسلامي ، وتتمثل في نشأة التيار الديني وتغلغله في الحياة العامة ونشأة الجامعة الإسلامية وما تفرع منها من الدعوة إلى مناصرة الخلافة.وما قيام هذه الجامعة الإسلامية إلا صدى للدعوات الإصلاحية،والتصدي للاستعمار.أما التيار الإسلامي في قصائد الخلافة عنده فما هو إلا مجموعة قضايا متشابكة ظفرت بأهمية كبيرة في هذه المرحلة التي عاشها شوقي.فمنها إعلان الدستور العثماني،وإعلان خلع السلطان عبد الحميد .ومن ثم موجات التجديد الدينية ورمي المسلمين بالتعصب.مما حدا بشوقي وأمثاله من الشعراء إلى الدعوة لضرورة المحافظة على تلك الروابط المقدسة بين مصر والخلافة"[٢]

"وسط هذه العوامل السياسة والاجتماعية وُجد احمد شوقي،ولد "بباب اسماعيل" وشبّ في جواره ونشأ في حماه،فكان طبيعياً أن تتأثر نفسه بذلك وأن يكون لكل هذه العوامل أثر بادٍ في شعره وفي حياته"[٣]

---

[١] - موقع باب الالكتروني.
[٢] - (عبد الكريم ،١٩٨٥:١٦)
[٣] -(الشوقيات – دار الكتب العلمية، ٥).

أغراض الشعر و موضوعاته عند شوقي :

ولما كان الحديث عن أميـــــر الـــشـــعراء ، فلن نكون مخطئين إن قلنا إننا سنجد في ديوانه كلَّ أغراض الشعر ماثلةً أمامنا ،"ومن يتصفح الشوقيات يستطيع أن يلاحظ في وضوح أن شوقي لم يترك مناسبة إلا دوّن فيها شعره،فهو لا يكتفي بالرثاء والمديح،بل يحاول ان ينظم في كل حادثة وفي كل مسألة طارئة سواء كانت تتصل بالشرق أم تتصل بالغرب"[1]

و في هذا البحث المتواضع الذي سنقف فيه على تلك النزعة الدينية التي تجلت في شعر شوقي، لابدّ أن ننوّه أنّ التوجه الديني في شعر شوقي أخذ منحيين ، أولهما : منحاً برزَ فيه بوضوح وكان مباشراً في إسلاميته ، كنظمه قصائد في موضوعات دينية بحتة تكلمت عن المولد النبوي أو المواسم الدينية أو غيرها ، والمنحى الآخر هو الصبغة الدينية التي اصطبغت بها غالبية أشعار شوقي والتي تندرج في تقسيمها تحت عناوين متنوعة سنوجز الحديث عنها في السطور التالية :

❖ **الشعر التأريخي أو التعليمي :**

تناول فيه التأريخ ، بيد أن الشاعر الماهر في فنه الحاذق في صنعته قد ألبسه ثياب الجمال، وأوضح فيه مآثر الأجداد عبر الأزمان، وصور فيه أحوال السلف التي انصرف عنها الخلق فأحيا المآثر ناطقة على المنابر تدعو الأبناء لحسن الاقتداء، واقرأ إن شئت أرجوزته "دول العرب وعظماء الإسلام" أو "كبار الحوادث في النيل".[2]

فهاهو يسجّل لتاريخ مصر بقوله :

من كَرمسيس في الملوك حديثاً ولرمسيس الملوك فــداءُ

بايعته القلوب في صلب سيتي يوم أن شاقها إليه الرجاء

ويقول :

لا تسلني : ما دولة الفرس؟! ساءت دولة الفرسِ في البلاد،وساءوا

---

[1] - (ضيف،٢٠١٠:١٩٥).
[2] - موقع المكتبة الشعرية الالكترونية.

سَلَبتْ مصـــرَ عزّها وكستْـــها ذلةً ما لها الزمانَ انقضـــاءُ

ويقول :

سجدت مصرُ في الزمان لإيزيـــــ س الندى،من لها اليد البيضاءُ[1]

❖ **الشعر الوطني والقومي :**

وما أكثرَ هذا الموضوع في أشعار شوقي ، وما أرحب مساحته ، فأين هي الحادثة الوطنية التي لم يكتب عنها شوقي ؟ ، و أين هو الحدث القومي الذي لم يسطر شوقي مجرياته بحروف من شعرٍ متألق ، فهذا ديوانه بين يدينا يخبرنا عن هذا الكثير، فمن رثاء عمر المختار ، إلى "نكبة دمشق" ، ،إلى " ذكرى تحرير سورية"، و"حادثة دنشواي" وغيرها الكثير الذي لا يسعنا هنا التوقف عنده، ولا بأس في الوقوف على بعض الأبيات من ذلك ، حيث خلّد في قصيدته "نكبة دمشق" أبياتاً ما زالت ليومنا هذا أرجوزةً في الوطنية والمقاومة :

سلامٌ من صبا بَرَدى أرقّ ودمعٌ لا يكفكف يـــا دمشـــقُ

ومعذرةَ اليراعةِ والقوافي جلال الرزءِ عن وصفٍ يدقّ

ويستكمل مسيرته قائلاً :

دمُ الثوارِ تعرفه فرنسا وتشـــهـــد أنه نـــارٌ و حـــقُ

بلادٌ مات فتيتُها لتحيا وزالوا دونَ قومهمُ ليبـــقـــوا[2]

❖ **الغزَل والنسيب :**

"وهذا ميدان برّز فيه ونظم فيه كثيرًا من القصائد المستقلة وغزله غني بالعواطف المتدفقة والإحساسات والمشاعر المتوهجة ويسمو فيه عن التبذل والتهتك ومصدر ذلك نشأته

[1] - (الشوقيات،دار الكتب العلمية،٢٥).
[2] - (الشوقيات،دار الكتب العلمية،٧٢)

المحافظة".[1] ونُطالع في ديوانه الشوقيات المجلد الأول ، باباً كاملاً يحملُ اسم (النسيب) ، ولا بأس بالتمثيل على ذلك من قصيدته (خدعوها) حيث يقول في مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغــرّهنّ الثنـــاء

أتراها تناستِ اسميَ لمّا كثرتْ في غرامها الأسماءُ [2].

❖ **الشعر المسرحي :**

هذا الميدان الذي سبق فيه جميع الشعراء الذين كانوا في عصره فهو أبو الشعر المسرحي في العربية غير أنه ظهر في زمان كانت القوة فيه للمسرح الغنائي الذي يقوم على الأشعار والأناشيد والأغاني وهو كما عرفنا كان من أقدر الشعراء على تقمص الشخصية التي يتحدث عنها .وكان شاعرنا قد حاول نظم المسرحية في بداية حياته فلم يفلح ثم أقبل عليها بعد عودته من المنفى، فنجح فيها إلى أبعد ما يمكن أن يصل إليه ابن زمانه ،وأخرج في هذا الفن سبع مسرحيات"[3]،أشرنا إلى أسمائها عند الحديث عن أعمال شوقي.

❖ **الحكمة والمَــثَل :**

لن نجد باباً ما يحملُ هذا الاسم في ديوان شوقي ، فالحكمة سجيته التي يبثها في كل قصائده أياً كان موضوعها ، وتشغل مساحة لا بأس بها من قصائد شوقي ، كيف لا ؟ و هو من له هذا الباع الطويل في الثقافة والاطلاع ، و هو من له تلك التجربة العميقة في شتى محطات حياته وتقلباته بين الغربة والعودة ومخالطة أجناس كثيرة من البشر ومعاصرة أحداث ووقائع تاريخية ، ونذكر شيئاً منها هنا :

وما نيلُ المطالب بالتمنـــي ولكنْ تؤخذ الدنيــا غلابـــا.

* * *

و مَنْ يعدل بحب الله شيئاً كحبّ المالِ ضلّ هوىً وخابــا.

---

[1] - موقع المكتبة الشعرية الالكترونية.
[2] - (الشوقيات،دار الكتب العلمية،١١١).
[3] - موقع المكتبة الشعرية الالكترونية.

* * *

وما في الشجاعة حتفُ الشجاع ولا مدّ عمرَ الجبانِ الجبن

ولكن إذا حان حين الفتـــى قضى،ويعيش إذا لم يحـــن

* * *

ولم أرَ مثل جمع المالِ داء ولا مثل البخيل بـــه مصابـــا[1]

❖ **الرثـــــاء :**

تحدث عن الرثاء وظهرت فيه عبقريته ونجد أن قصائده في الرثاء ملأت المجلد الثالث من الشوقيات ولقد رثى شاعرنا العلماء والزعماء والأدباء إلى جانب رثائه أباه وذويه كما رثى كثيرًا من مشاهير غير العرب مثل فيكتور هيجو وتولستوي وأكثر ما تدور عليه مرثياته الاعتبار وتأمل مصير الناس ومصارعهم وكثر في رثائه التساؤل عما يلقاه الميت بعد موته وحال النزع ونحو ذلك حتى وهو يرثي أباه.[2] ونستغل هذا المقام لِذكر جانب مهم من علاقات شوقي وهو علاقته بالشاعر الكبير "حافظ ابراهيم" فالصداقة بين هذين الشاعرين حميمة و قوية ولا أدلّ على ذلك من تلك الأبيات الرقيقة التي فاضت بها مشاعر أحمد شوقي في رثاء صديقه ، الذي توفي قبله بأشهر، حيث قال حينها :

قد كنتُ أوثرُ أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياءِ

لكنْ سبقتَ وكلٌّ طولِ سلامةٍ قــدرٌ، وكــلُ منيــةٍ بقضــاءِ

الحقُّ نادى فاستجبتَ ولم تزلْ بالحقِّ تحفلُ عند كلّ نـــــداءِ

[1] (موقع علاء العبادي الالكتروني).
[2] المكتبة الشعرية الالكترونية.

ويقول في ذات القصيدة :

ماذا حشدتِ من الدموع "لحافظٍ" وذخرتِ من حزنٍ له وبكـــاءِ

و وجدتِ من وقع البلاء بفقده إنّ البلاءَ مصارعُ العظماءِ

يا حافظَ الفصحى وحارسَ مجدها وإمامَ من جلتْ من البلغاءِ

ما زلتَ تهتف بالقديمِ وفضلهِ حتى حميت أمانـــة القدمـــاءِ

جددتَ أسلوبَ (الوليد) ولفظَه وأتيتَ للدنيا بسحر (الطائي)[1]

* * *

[1] (الشوقيات،دار الكتب العلمية،١٨)

الفصل الثاني :

- شوقي والشخصية المزدوجة .
- هل كانت النزعة الدينية ظاهرة في شعر شوقي؟.
- جوانب شعر شوقي الإسلامي .

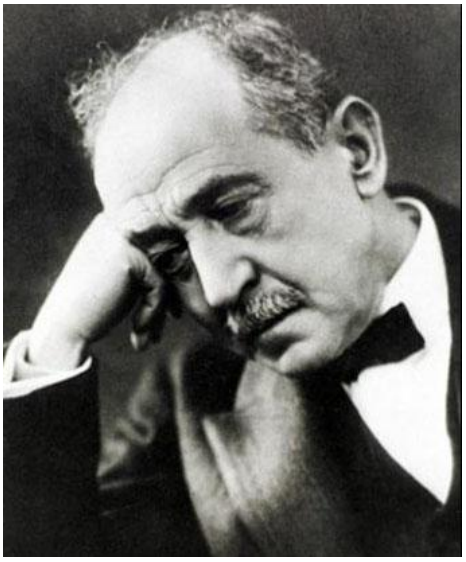

شوقي والشخصية المزدوجة :

في بداية إعدادي للمشروع لم يكن يسترعي انتباهي ما يمكن تسميته بـــ"الشخصية المزدوجة" للشاعر الكبير أحمد شوقي !! ..

كنتُ أتفاجأ في مرات كثيرة عندما يسألني الأقارب والأصدقاء عن موضوع مشروعي، فأجيبهم أنه عن الشعر الديني عند أحمد شوقي .. فكانت تأتيني ردات فعل كثيرة ، وهل شوقي عنده دين ؟ ، وقال أحدهم : شوقي مرة "صايع" ومرة شيخ !!، فاستغربتُ من هذه الفكرة عن أحمد شوقي ! ، وشجعني ذلك على بذل الجهد لإتقان مشروعي ليقدم فكرةً سليمةً عن هذا التوجه الواضح جداً عند أحمد شوقي .

ولكن عجبي واستغرابي انقضى عند قراءتي لمقدمة ديوان الشوقيات ، بقلم الدكتور محمد حسين هيكل ، والذي تطرق لموضوع "الشخصية المزدوجة " عند أحمد شوقي وقد أنصف فيها شاعرنا ، فرأيتها جزءاً مهماً تجدر إضافته لهذا البحث المتواضع.

حيثُ استرسل هيكل في حديثه قائلاً :

" ومعَ أنَّ شوقي درس في مصر ، ثم أتمَّ دراسته في أوروبا ،وتأثر بالوسط الأوربي وبالحياة الأوربية وبالشعر الأوربي تأثراً كبيراً ،فقد ظلّ تأثره بالبيئة التي وصفنا ظاهراً في حياته وفي شعره ، كما ظلّ تأثره بالبيئة الأوربية ظاهراً فيهما كذلك.و إنك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه – بعد أن يتم نشرها جميعاً – كأنك أمام رجلين مختلفين جد الاختلاف لا صلة بين أحدهما والآخر ، إلا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر إلى عليا سماواته ، وأنّ كليهما مصري يبلغ حبه لمصر حد التقديس والعبادة.

أما فيما سوى هذا، فأحد الرجلين غير الرجل الآخر : أحدهما مؤمن عامر النفس بالإيمان ، مسلم يقّدس أخوة المسلمين ، ويجعل من دولة الخلافة قدساً تفيضُ عليه شؤونهُ وحوادثهُ وحيَ الشعر و إلهامهُ ، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها ، محافظ في اللغة يرى العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال ، والآخر رجل يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها ، متسامح تسع نفسه الإنسانية وتسع معها

الوجود كله ، ساخرٌ من الناس وأمانيهم ، مجدد في اللغة لفظاً ومعنىً ، وهذا الازدواج ظاهرٌ في شعر شوقي من أول شبابه إلى هذا الوقت الحاضر ، وإن كان لتأثره بالقديم الغلبة اليوم ، وكانت آثار الرجل الآخر لا تظهر اليوم في شعر شوقي إلا قليلاً .

ولا تقل : إن الازدواج النفسي شأن الشعراء ، وإن أبا نواس الذي كان يقول :

ألا فاسقني خمراً وقل لي : هي الخمـــــر ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهـــرُ .

هو أبو نواس الذي كان يقول :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفتْ له عن عدّو في ثيـــاب صــديــق.

فليس هذا من أبي نواس ازدواجاً في الروح ، وما الحكمة الزاهدة عنده إلا فتور نفسٍ أجهدتها اللذة فأضعفتها ، فأخافها الضعف ، فألجأها إلى حمى الحكمة والزهد وإلى استغفار الله والتوبة ، لذلك لا تلبث نفسه أن تعاودها القوة حتى تعود إلى نعيم الترف والإباحة ، وذلك هو السرّ في أنك لا ترى الزهد في شعر أبي نواس إلا عَرَضاً واستثناءً ، وذلك شأن الشعراء جميعاً إلا قليلاً منهم ، و شوقي من هذا القليل ، ففي شعره صورتان من صور الحياة تقوم كلٌّ منهما مستقلة ، كأنما صاحبها غير الآخر ، فأنت تقرأ :

حَــفّ كأسَهــا الحــبَبُ فهي فضةٌ ذهـــب.

أو تقرأ :

رمضان ولّى هاتــها يا ســـاقي مشتاقـــة تســعى إلى مشـــاق .

فتراكَ في حضرة شاعرٍ مغرمٍ بالحياة وبمتاعها ونعمتها ، شاعرٌ تختلفُ روحه جد الاختلاف عن صاحب نهج البردة التي مطلعها :

ريم على القاعِ بين البانِ والعلم أحـــل سفك دمي في الأشهــر الحــرم .

وصاحب الهمزية الذي يقول :

وُلــدَ الهدى فالكائنــاتُ ضياءُ وَفمُ الزمــانِ تبسّمٌ وثنـــاء.

وهذان الروحان أو هاتان الصورتان من صور الحياة تتجاوزان في نفس شوقي ، وتصدران عنها وهي في كل قوتها وسلطانها ، و أنت لذلك حين تقرأ القصيدتين الأوليين تمتلئ إعجاباً بالحياة ومتاعها ولذتها ، وحين تقرأ الثانيتين تكون أشدّ إعجاباً بكلمة الإيمان وروح الحق ورسالته ، وأنت لا تشعر في أيّ الحالين بضعفٍ نفسانيّ عند الشاعر دفع به إلى لبوس روح غير روحه ، بل أنتَ فيهما جميعاً يبهرك شوقي بقوة شاعريته الممتلئة حياة وخيالاً ، والتي تفيض بمتاع العيش فيضها بنور الإيمان.

كيف كان هذا الازدواج ؟ كيف جمعَ شوقي في نفسه بين هذين الشاعرين ، شاعر الحياة العربية بحضارتها الإسلامية وبما فيها من قِدم وإيمان ، وبين شاعر الحياة الغربية الخاضعة لحكم العِلم وما يكشف عنه كل يوم من جديد.

مسألة تبدو للنظرة الأولى دقيقة معقدة . فقد تزدوج في نفس واحدة حياتان بينهما من الصلة ما يبيح الازدواج ، فيكون الرجل الواحد فيلسوفاً وشاعراً ، كما كان المعرّي ، أو كما كان فولتير ، فأما أن يكون شاعراً واحداً وحدة حياته الشعر ، ثم تكون نفسه مقسمةً مع هذه الوحدة قسمة ازدواج على نحو شوقي ، فذلك عجبٌ في شاعر مطبوعٍ يفيضُ عنه الشعر كما يفيض الماء من النبع ، وكما ينهمل المطر من الغمام.[١]

كما تطرق شوقي ضيف لهذا الموضوع في كتابه (شوقي شاعر العصر الحديث) وعَرَض كلام هيكل،لكنه لم يوافقه الرأي في أنَّ شوقي مختلف عن أبي نواس في الازدواجية،بل رأى ازدواجية أبي نواس وشوقي واحدةً كما هي عند أي شاعرٍ آخر."والحقيقة أنه ليس في شخصيات أبي نواس تعدد ولا اختلاف،وإنما هي حياة الفنان حين يخلص إلى نفسه ويعيش معيشته الداخلية،والفنان حين يخرج إلى المجتمع ويتصل بنزعاته و أذواق الناس فيه ويعيش معيشته الخارجية.وهذا نفسه ما نلاحظه عند شوقي،فليس هناك تعدد في شخصيته،وإنما هي حياته الفردية وما يتصل بها من لذة ومتاع وحرية،وحياته الاجتماعية وما يتصل بها من القصر والخديوي والجمهور ونزعاته،ولا خلاف بين الحياتين أو تخالف،وإنما هي خصال شوقي وصفاته".[٢]

---

[١] (الشوقيات،دار الكتب العلمية،٦).
[٢] (ضيف،٢٠١٠:٣٣).

هل كانت النزعة الدينية ظاهرة في شعر شوقي ؟

لعلّه أصبح من الواضح بعد كل هذا العرْض أنّ النزعة الدينية كانتْ ظاهرةً بوضوح في شعر شوقي ، ولكني أحببتُ أن أفرد بعض السطور لأقوال العديد من الدارسين والناقدين الذين أكدّوا في دراساتهم لشعر شوقي على هذا الأمـــر،وأبدأُ بنقلِ ما ذكره الدكتور محمد حسين هيكل في تقديمه لديوان الشوقيات حيث تعرّض لهذا الأمر قائلاً :

" إلى جانب مقام الوطنية التي هي قوة متسلطة على نفس شوقي، تقوم عاطفة أخرى لا تقل عنها قوة ، وربما كانت أشد أخذاً بهذه النفس و إثارة لشاعريتها ، تلك هي العاطفة الإسلامية ، فشوقي شاعر الإسلام والمسلمين ، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق ، وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الأخيرة إلى جهتين ، ثم إلى قومين : فهي تتجه صوب مكة مسقط رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومقام إبراهيم كعبة المسلمين وقبلة أنظارهم ، ومكة في بلاد العرب والنبي عربي والقرآن عربي . وهي تتجه – أو كانت تتجه – صوب الأستانة مقر الخلافة الإسلامية ، ومقام الخليفة من آل عثمان. والأستانة عاصمة الترك ، وخليفة المسلمين كان تركيا . فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره – إلى حيث أُلغيت الخلافة – نحو مكة ونحو الأستانة ، يستمد من الأولى المدد الروحي ، ومن الثانية مدد السيف والمدفع.[١]

ويقول الدكتور ماهر حسن فهمي ، المدرس بجامعة عين شمس في كتابة (شوقي شعره الإسلامي) :" كان شوقي صادق العاطفة في شعره الإسلامي الذي يحتل جزءاً ضخماً من ديوانه..."[٢]

" وقد ظهرت النزعة الدينية واضحة في شعر مدرسة الأحياء أو من يسمّون (بالمدرسة الكلاسيكية الجديدة) البارودي وشوقي وحافظ وغيرهم،وأخذت العناصر الإسلامية الجديدة تتداخل في البناء الفني مع الموروث القديم في قصائد هؤلاء الشعراء ، وتبدأ عملية مزاوجة فنية بارعة بين هذين التيارين . أما شوقي فقد تفوق على أقرانه من الشعراء في شعره الإسلامي ، وأصبح هذا التيار واضحاً في صوره الشعرية ، وأصبحت هذه القيم الدينية في قداستها ومعطياتها تشكل جانباً من وعيه الشعري و وجد شوقي في التيار الإسلامي معجماً ثرياً

---

[١] (الشوقيات،دار الكتب العلمية،١٢).
[٢] (فهمي،١٩٥٩:١٠٠).

ويستمد مادته التعبيرية والتصويرية،والحقيقة التي تؤكدها النصوص،والتي يحاول هذا البحث إثباتها ، هي أن هذا التيار الإسلامي الذي ظهر في شعر شوقي بهذه الوفرة لم يظهر عند غيره من شعراء عصره".[١](عبد الكريم ١٩٨٥:٤)

وقال الدكتور مصطفى عبد الغني في مقاله المنشور على موقع باب الالكتروني :"أحمد شوقي، شاعر العربية الكبير في العصر الحديث، أكثر شعرائنا ميلا للإسلام، ونظماً فيه، كما يحتوي شعره، على خصائص إسلامية ناضجة وواعية أكثر من غيره.. هذه حقيقة يؤكدها شعر أحمد شوقي ومسرحه الدرامي سواء بسواء .ولا يمكن أن نراجع شعر أحمد شوقي دون أن نلاحظ هذا التأثر الكبير بالروح الديني، إذ يكاد عنصر الإسلاميات يغلب على هذا الشعر، سواء جاء التعبير الفني مباشرا أو غير مباشر، وفي كتاباته الذاتية أو مناسباته في شتى الميادين، وهو ما لا يمكن إغفاله بأية حال.. ولم يلحظ هذه الحقيقة معاصرونا نحن أو كتابنا، وإنما من عرف أحمد شوقي عن قرب، إذ تقول بعض الروايات: إنه كان يفضل (شاعر الإسلام) على اللقب الذي أطلق عليه في مؤتمر أو اجتماع أقيم خصيصا له، وهو لقب أمير الشعراء، إذ كان صاحب مجلة (المعرفة) في عصره يقدم قصائده بعبارة (شاعر الشرق والإسلام)، فلما التقى بشوقي فيما بعد تهلل وجهه وقال له: (إن قولك عني إني شاعر الإسلام لأحب إليّ من هذا اللقب الرنان الذي يطلقه الصحفيون عليّ، ذلك أني أتمنى أن أكون شاعر الإسلام حقاً) ".[٢]

[١] (عبد الكريم،١٩٨٥:١٤).
[٢] موقع باب الالكتروني.

جوانب شعر شوقي الإسلامي :

و نشرع الآن في الحديث بشكل أوضح عن شعر شوقي الإسلامي، في أيّ المواضيع برز؟ وعن ماذا كتبَ شوقي ؟ وفي أي الحوادث والمناسبات تكلّم ؟ مع التمثيل لكل ذلك بنماذج من أشعاره ، لنتلمسّ بواقعية تلك النزعة الدينية عند شوقي .

ويمكننا تقسيم شعر شوقي ضمن هذا المجال إلى قسمين :

القسم الأول : وهو تناوُل شوقي لموضوعات دينية بحتة ومباشرة هي :

١ -المدائح النبوية.
٢ -العبادات والشعائر الدينية.
٣ -المناسبات الدينية.
٤ -الخلفاء والقادة الإسلاميون.

أما القسم الثاني: فهي المواضيع التي نَظَم فيها شوقي و اصطبغت عنده بصبغة دينية وظهرت فيها هذه النزعة ، وهي :

١ -السياسة.
٢ -الأخلاق.

القسم الأول :

١ -المدائح النبوية :

إنه أوّل موضوعٍ يطالعنا في مشوار تتبعنا لشعر شوقي الإسلامي، فليس غريباً على شاعرٍ عُرف عنه صدقُ عاطفته لدينه وأمّته أن يسطر من لوحات المدائح أروعها وأبدعها يتقدمها بلا منازع **نهجُ البرْدة** ، فمنْ منّا لا يعرف ؟ :

ريمٌ على القاعِ بيــن البان والعَلَمِ أحلّ سَفكَ دَمــي في الأشهــرِ الحرُم.

وهي قصيدةٌ من مئة وتسعين بيتاً عارضَ بها شوقي " بُردة البوصيري" المشهورة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتي مطلعها :

أَمِنْ تذكّرِ جيــرانٍ بذي سَلَم مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بـــــدمِ .

وقد أسماها البوصيري بالبردة ،تيمنّاً ببردة الرسول صلى الله عليه وسلم التي منحها لكعب بن زهير عندما استشفعه كعب بقصيدته المشهورة (بانت سعاد) فكانت البردة رمزَ شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لكعب،وهكذا أرادها البوصيري عندما جعلها اسماً لقصيدته."وعلى طريقة البوصيري افتتح شوقي قصيدته"نهج البردة" بالنسيب وأحاديث الهوى وذكريات الصبابة، ولا يخفى على أحد المقابلة التي يعتمد عليها شوقي وبراعة الاستهلال،وشوقي يسير على طريقة البوصيري في بردته.أخذ من طريقها ومعانيها وأساليبها وعباراتها وقوافيها، حتى موقف زهير من هَرِم الذي قال عنه البوصيري:

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت يدا زهير بما أثنى على هرم.

وقد جاء شوقي بنفس الموقف بقوله :

يزري قَريضي زهيــراً حينَ أمدحه ولا يُقاس إلى جودي لــدى هــَـرِم."[١]

[١] - (عبد الكريم،١٩٨٥:١٢٩).

ونتابعُ مع شوقي في بردته وصف الرسول صلى الله عليه وسلم،فهو صاحب الخُلق الكريم،والمعجزة الخالدة،والفتوحات التاريخية،كما يشير إلى تفوقه على سائر الأنبياء عليهم السلام.ونستعرض جانباً من مدائحه في خاتمة القصيدة حيث يقول :

يـــاربّ صلّ وسلم ما أردت على ... نـــزيل عرشك خير الرسل كلهـــم

محيي الليالي صلاةً،لا يقطعها ... إلا بدمعٍ مـــن الإشفاق منســـجـــمِ

مسبّحاً لك جنحَ الليل،محتملاً ... ضرّاً من السهد أو ضرّاً من الورم.[1]

وغير نهجِ البُردة الكثير،فنحن نستطيع بسهولة أن نلاحظ انتشار المدائح في قصائد شوقي وبين أشعاره.من أهمّ تلك القصائد أيضاً **الهمزية النبوية** والتي يقول فيها :

وُلِدَ الهـُدى فَالكـــائِناتُ ضِيـــاءُ ... وَ فَـــمُ الزَمانِ تَبَسّـــمٌ وَثَنـــاءُ

الروحُ وَ المَلأُ المَلائِكُ حَـــولَـــهُ ... لِلديـــنِ وَ الدُنيا بـــهِ بُـــشَـــراءُ

وَالعَرشُ يَزهو وَالحَظيرَةُ تَزدَهي ... وَالمُنتَهي وَالسِدرَةُ العَصـــمـــاءُ

وَحَديقَةُ الفُرقانِ ضاحِـــكَةُ الرُبـــا ... بِالتـــرُجُمـــانِ شـــذِيَّـــةٌ غَنّـــاءُ

وَالوَحيُ يَقطُرُ سَلسَلاً مِن سَلسَـــلٍ ... وَ اللَّوحُ وَ القَلَمُ البَـــديـــعُ رُواءُ

نُظِمَت أَسامي الرُسلِ فَهْيَ صَحيفَةٌ ... في اللَّوحِ وَاسمُ مُحَمَّدٍ طُـــغَـــراءُ

اســـمُ الجَلالَةِ فـــي بَديعِ حُروفِـــهِ ... أَلـــفٌ هُنالِكَ وَاســـمُ طَـــهَ البـــاءُ

يا خَـــيرَ مـــَن جاءَ الوُجودَ تَحِيَّـــةً ... مِن مُرسَلينَ إلى الهُدى بِكَ جاءُوا[2]

[1] - (الشوقيات،دار الكتب العلمية،١٥٠).
[2] - (المصدر نفسه ، ٣٢).

"وإذا كان البوصيري في مدائحه النبوية يعبّر عن حبه نحو الرسول صلى الله عليه وسلم،فقد كان لشوقي هدفٌ أبعد مدى من ذلك.فهو يصوّر لنا صفاتِ الرسول صلى الله عليه وسلم تلك التي كانت له أكبر عون على تحقيق دعوته،والتي مكنته من أن يحول أمّة جاهلة متفرقة إلى دولة إسلامية عزيزة الجانب،يصورها لنا حتى تكونَ مثلاً أعلى يَقتدي به المسلمون في حاضرهم.ويتخذ من حياة الرسول ما يذكر المسلمين بدينهم السمح وماضيهم المجيد.فالرسول كان يُعرض عما يخوض فيه الشباب من الطيش ،ويحمي الجار،ويذود عن الحق ويصل الرحم.ويُعرَف بالصدق والأمانة،وإذا أصاب رزقاً جاد على الناس،وإذا غضب هذا الحليم لم يغضب إلا في سبيل الحق،وقد أوجز القرآن كل ذلك في قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم"وإنكّ لعلى خلقٍ عظيم" :

بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم يعرفه أهل الصدق والأمناء

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا منها وما يتعشق الكبراء

والحسن من كرم الوجوه وخيره ما أوتي القواد والزعماء

وإذا سخوتَ بلغتَ بالجودِ المدى وفعلتَ ما لا تفعلُ الأنواء

وإذا غضبتَ فإنما هي غضبةٌ في الحق لا ضغنٌ ولا بغضاء[1]

"وفي هذه القصيدة يصل شوقي إلى درجة عالية في المدح النبوي، ويُلاحَظ أنَّ البوصيري وشوقي يتَّفقان في الأغراض، والاتفاق هنا في وحدة الموضوع لا يخفى؛ ولكن شوقي يختلف عن البوصيري بمثل ما اختلف عنه في أشياء أخرى إذ يختصّ بالحديث المستفيض حول خصائص الإسلام، وحكمه ومنهجه في سبيل الإصلاح، ولا بأس أنَّ محاكاة شوقي للبوصيري تُجاوز المديح إلى الصور والموسيقى والوزن والقافية والعبارات والتراكيب، كذلك في الأغراض وفي التأثُّر بالقرآن، وما إلى ذلك من صور المدح والشفاعة، وهذه المعاني لا تكثر في (البردة) و(الهمزية) فقط، بل تمتدُّ إلى عديد من قصائده الأخرى في هذا المجال"[2].

---

[1] - (فهمي،١٩٥٩:١٠٧).

[2] - موقع قصة الإسلام الالكتروني.

و له في المدائح النبوية رائعةٌ أخرى تحمل اسم (**في ذكرى المولد**) ومطلعها:

سلوا قلب غداة سلا وتابا لعلّ على الجمالِ له عتابــا

ويسأل في الحوادث ذو صوابٍ فهل ترك الجمالُ له صوابا؟[1]

"تعد من أحسن ما نظم في هذا المجال،إذ لم ينظمها معارضةً أو محاكاةً مثل نهج البردة والهمزية، ولذلك نراها تفضلهما شأناً وفنّاً،وبدت أدلّ منهما على شخصية الشاعر،وأشبه به،وأحق بالانتساب إليه،والقصيدة طويلة أبياتها واحد وسبعون،متعددة الأغراض،وأغراضها هي:١-النسيب،٢-وصف الدنيا،٣-الحكمة،٤-مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتوسل به...ومدارُ المدحِ في القصيدة ثلاثة امور:أولها البرّ وعمل النبي له،ونجاح في الدعوة إليه وجمع الناس عليه بعد أن تفرقوا فيه وضلوا عن سوائه بعد المسيح عليه السلام،والثاني لمجات سريعة عن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم وأثره في الهدى إلى الله وعن جهاده في أداء الرسالة والتمكين لها وإعلاء كلمتها،ثم عن فضله على الأعقاب من بعد، إذ هداهم الطريق الأرشد إلى المجد وعلمهم كيف تكون الإمرة على العالمين، يقول :

وأرسلَ عائلاً منكم يتيــماً دنـــا من ذى الحلال فكان قابــا

نبــيّ البــر بيّنه سبيـــلاً وسنّ خلاله وهــدى الشعــابـــا

تفرق بعد عيســى الناس فيه فلما جــاء كــان لهــم متابـــا

وشافى النفس من نزعات شــر كشافٍ مــن طبــائعها الذئــابــا

وكان بيانــه للهدى سبـــلاً وكــانت خلية للحــق غــابـــا

وعلمــنا بنــاء المجــد حــتى أخذنــا أمرة الأرض اغتصابــا[2]

و لا تتوقف مدائحه على هذه القصائد،فنجدها متناثرة في قصائد أخرى،كتوقفه على بعض من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في قصيدته المطولة (كبار الحوادث في وادي النيل) .

[1] - (الشوقيات،دار الكتب العلمية:٦٣).
[2] - (عبد الكريم،١٩٨٥:١٤٣).

٢ العبادات والشعائر الدينية :

كان صوت الشعائر لدى أحمد شوقي أعلى الأصوات على الإطلاق، إذ يذكر كثيرًا من الأبيات المفردة في قصائده الكثيرة، ليُدَلِّل على أهميَّة **الصلاة**، يقول:

خَفَافًا إلى الداعي سراعًا كأنما * من الحرب داعٍ للصلاة مُثَوِّب**

كما يُضيف إلى الصلاة بقية الشعائر، فيقول في موضع آخر:

وصلِّ صلاة مَن يرجو ويخشى * وَقَبْل الصَّوْمِ صُمْ عن كُلِّ فحشا.**[١]

"والشعر الديني يقف بأحداث شهر رمضان،وعلى رأس المعاني التي يشير إليها فضل شهر الصيام وأثر الصيام في بناء المجتمع وطبع نفوس أبنائه بطابع الخير والرحمة،ويضيف شوقي إلى أنّ القصد من الصيام أن تزول الفوارق الطبقية التي يعلو فيها الأغنياء على الفقراء،فإذا الناس كلهم سواسية حتى في حالات الحرب،إذ يقول:

يا ابن الذين إذا الحروب تتابعت صلـــوا على حـــدّ السيوف وصاموا

وسخر شوقي من الذين يصلّون ويصومون ولكنهم لا يزكون،وأنذرهم بأن الله قد أحصى نصيب الفقراء من أموال الأغنياء،والذي يؤثر ماله على طاعة الله وحبه خاسر...ويذكر الأغنياء البخلاء بأن الموت مدرك لهم،وسيتركون مالهم لغيرهم،وكان الخير لهم أن يقدموا من مالهم عملاً صالحاً ينفعهم عند الله:

عجبتُ لمعشرٍ صلّوا وصامـــوا ظواهـــر خشية و تقى كذابـــا

وتلفيهم حيال المال صمّـــــا إذا داعي الزكاة بهم أهـــابـــا

لقد كتموا نصيب الله منه كـــأن الله لم يحصِ النصـــابا

ومن يعدل بحب الله شيئاً محبّ المال ضلّ هوى و خابا."[٢]

* * *

[١] - موقع قصة الإسلام.
[٢] (عبد الكريم،١٩٨٥:١٦٦).

كما تحدَّث عن **فريضة (الحجِّ)**، ويبرع في رسم عديد من الصور الفنِّيَّة؛ فإنه في قصيدة بعنوان (إلى عرفات) –والتي قالها بمناسبة حجِّ الخديوي توفيق– يقول:

إلى عرفات الله يا خيرَ زائـــر عليك سلام الله فـــي عرفـــاتِ

ويوم تُوَلِّي وُجهة البيت ناظرًا وسيم مجالي البِشْرِ والقسمـــاتِ

على كل أفْـــق بالحجاز ملائـــكُ تزفُّ تحـــايا الله والبركـــاتِ.[1]

٣ المناسبات الدينية :

ظهرت إسلاميَّات أحمد شوقي بشكل بالغ الثراء في المناسبات، ومن المناسبات التي برع فيها شوقي **مناسبة الهجرة**، وقد فصَّل الحديث عنها باصطحاب الرسل صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، فضلاً عن الإشارة لشجاعة الرسول والإقدام على التخفِّي ليلاً، والإشارة إلى دخول الرسول والصدِّيق إلى الغار، يقول:

هَاجَرَ مِنْ أُمِّ الْقُرَى مَأْذُونَا * وَمَا دَرَى أَوْ سَمِعَ المُؤْذُونَا**

في ليلة للختل كانت موعدا * قد نصبتها شَرَكًا أيدي العِدَا**

وأهمية هذه المناسبات تعود إلى معانيها التي توحي بها، وهي التضحية من أجل العقيدة والبذل والفداء ويُسهب شوقي طويلاً في قصة مثل قصة **الإسراء والمعراج.**[2]

وقال في هذه المناسبة :

"يا أيها المسرى به شرفاً إلى ما لا تنال الشمس والجوزاء

يتساءلون أأنت أطهر هيكل بالـــروح أم بالهيـــكل الإســـراء

وقال في نهج البردة:

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه والرسل في المسجد الأقصى على قدم

[1] - موقع قصة الإسلام.
[2] - موقع قصة الإسلام.

لما خطرت به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

صلى وراءك منهم كل ذى خطر ومــن يفــز بحبيب الله يأتمــم"[1]

ومن المناسبات التي توقف عندها شوقي أيضاً، **ذكرى معركة بدر**،ولهذا التوقف عند هذه الغزوة العظيمة بالذات أسبابه فهي ليست كباقي الغزوات وتجلت فيها بالإضافة إلى معاني التضحية والفداء،معاني العزيمة وقوة الإيمان، والثبات.

"يقول شوقي:

فكانت الحرب لدفع الحيف قد تؤخذ السلم بحد الســيف

وكان (بدر) مطلع الأيــام ورفعــة الصــلاة والصيــام

وأول العهد بــعــز المــلّة وبارتداء المشــركين الذلة"[2]

٤ الخلفاء والقادة الإسلاميون :

وإذا كان الحديث عن الإسلام العظيم وعن تلك النزعة التي اجتاحت أميرَ الشعراء في شعره تغنيّاً بمجد هذا الدين وعزته،فكان لابدّ إذن من وقفة عند أبرز معالمِ هذه الطريق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم،إنهم قادة المسلمين وخلفائهم ، حيث "يتخير شوقي من زعماء الإسلام – غير الرسول – طائفة يعتز بها التاريخ الإسلامي منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى العصر الحديث.ويتحدث عن عبقرياتهم وما بذلوه في سبيل رفعة الإسلام والمسلمين من جهد وتضحية.فهو يذكر الخلفاء الراشدين في إجمال قصيدته نهج البردة.ثم يتكلم في إسهاب عن كل منهم في أرجوزته "دول العرب وعظماء الإسلام"،التي نظمها في الأندلس مترجماً فيها لعظماء رجال الإسلام ولكبريات الدول الإسلامية التي يعتز بها التاريخ الإسلامي،حتى يكون ذلك دافعاً للهمم وحافزاً على الإقتداء بأبطال الإسلام الأولين :

---

[1] - (عبد الكريم،١٩٨٥:١٦٤).

[2] - (عبد الكريم،١٩٨٥:١٦٢).

حتى أراد الله أن نظمتُ من سيَر الرجال ما استعظمتُ

علماً بما يبعثُ في الأحداث غرائبَ الأعمال والأحــداثِ.[1]

ويبدأ شوقي الحديث عن **أبي بكر** في "نهج البردة"، ذاكراً بلاءه في سبيل الإسلام،وكيف استطاع بحزمه القوي وعزمه الصادق أن ينقذ الدين مما أحاطه من محن ذهبت برشد الألبّاء.فالرجال دائماً تعرف عند الشدائد. وفي "دول العرب وعظماء الإسلام" يحدثنا عن فتوحه لنشر الدين، وانسياح الكتائب الإسلامية ترفع معها علم الإسلام خفاقاً على البلاد المفتوحة..من أزهد الناس في دنياه وأرحمهم قلباً..ترك الدنيا فقيراً لم يتزود لآخرته إلا بالخير:

وما بلاءُ أبي بكرٍ بمتهم بعد الجلائلِ في الأفعال والخدمِ

بالحزم والعزم حاط الدين في محن أضلت الحــلم من كهل ومحتلمِ

وحدن بالراشد الفاروق عن رشدٍ في المــوت وهو يقين غير منبهم[2]

* * *

وحبب الفتح إلى الأمـــامِ لابــدّ للبنيان من تمـــامِ

فانساحتِ الكتائب انسياحاً أرسلها من يرسل الريــاحا

يقودها ألويــةُ الجهـــاد أشهاد بدر أو بنو الأشهــاد

فيــا أخا الضــراءِ والشدائد والناسُ إخوان لــدى الفوائد

وقدوة الزهــاد بعد الهادي وصاحب الهجرة والجهــاد

ويا رحيماً قلبــه رقيــقاً بمالــه كــم حرر الرقيــقا

ومن قضى بعد غنىً فقيراً لم يجــدوا في بيته نقيــرا

---

[1] (دول العرب ص ٦).
[2] (الشوقيات:٢٤٧).

ذهبت بالخيرِ وأتعبتَ عمر يا ويح من بعد أبي بكر أمر.[1]

أمّا **عمر بن الخطاب** فهو يبدأ الحديث عنه في "نهج البردة" ، متسائلاً عمن يماثله في الدنيا عدلاً . ويكف عن التفصيلِ حتى يتيح لكل منا ان يستعرض لِعمر ما يمجد من قيم العدالة.وفي "دول العرب وعظماء الإسلام" يتكلم عن فتوحه التي امتدت من الكوفة إلى الفسطاط وخلدها التاريخ في صفحات مجده،لتذكر المسلمين بتاريخهم المجيد :

فتوحه للحق فضل الـــباري والجزل من هباته الكبـــار

إسكندر الخيل وإن لم يركب الأرض من أيامه في موكـــب

ثوى وساق نجبَ الصـــحابِ بورك في البحر وفي السحاب

تعهدوا الفتـــح بالاختطـــاط ووصلوا الكوفة بالفســـطاط

فتح يرى الـــحوادث الإبـــاء إذا الفتوح أصبـــحت هبـــاء

أهـــدى على الدهر إلى الإسلام ما بين أعلى النيـــل والســـلام

وعالم باقٍ على عهد العـــرب وإن مضى الدهر عليهم وضرب[2]

وهذا هو عثمان بن عفان الذي جمع القرآن فحفظه للمسلمين من الضياع، ونظمه عقداً لا انفصامَ له على الزمن.وفي دول العرب وعظماء الإسلام يذكر من أكبر مننه اقتحام العرب للبحر في أيامه ،يخضعونه كما خضع لهم البرّ من قبل :

أو كابن عفان والقرآن في يده يحنو عليه كما يحنو على الفطم

ويجمع الآيَ ترتيباً وينظـــمها عِقداً بجيد الليـــالي غيرَ منفصمِ

قد فتحوا قـــبرص للإمـــــام بالسفـــن المزجـــاة كالغمـــــــام

فأصبح القاصي من البر اقترب وصـــار بحر الروم لجة العـــرب

---

[1] (دول العرب :٣٦).
[2] (دول العرب :٥١).

و خفقت كتائب الإســـلام في البـــحر أعلاماً على أعـــــلامِ[1]

ثمّ مَنْ مثل الإمام عليّ بن أبي طالب الذي يجمعُ القلوب على الإخاء ويؤلف بين الأفئدة ويزيل الشحناء،ولا يرى جمعاً يتشاحنون إلا وفضّ جمعهم بعد أن يغسلوا الأحقاد والضغائن بعبرات الحب والصفاء.وهو إلى تقواه بحرٌ في العلم وصاحب مروءة ، إذا استنصره أحد لباه وأسرع إلى نصرته.وهو بمثل ذلك يتحدث عنه في دول العرب وعظماء الإسلام فيذكر جهاده في سبيل الدين وزهده وتقواه :

.. وكالإمام إذا ما فضّ مزدحماً بمدمعٍ في مآقي القوم مزدحـــمِ

الزاخر العذب في علمٍ وفي أدبٍ والناصر الندب في حربٍ وفي سَلم

* * *

أما الإمام فالأغرُ الهـــــادي حامـــي عـــرين الحق والجـــهـــاد

وأزهـــد الناس وفي الدنيا يده وأخشـــع العـــالم وهـــــو سيّـــده"[2]

وهكذا نرى أميرَ الشعراء استوفى الحديث عن الخلفاء الأربعة الراشدين رضي الله عنهم جميعاً ،ونبضتْ حروفهُ صدقاً في وصفِ ما كانوا عليه من البذل والعطاء، والإيمانِ والزهدِ والتضحية في سبيل الإسلام، وأكملَ شوقي مسيرته في تمجيد بطولات الصحابة ، فلمْ ينسَ من ذلكَ سيفَ الله المسلم **خالد بن الوليد** رضي الله عنه :

خلقت لا أعظم السيوفا إلا الشريـــف العالـــيَ العيوفـــا

الناصرَ الحق على المقاتل والضارب الباطل فـــي المقاتل

كابن الوليدِ موئل الأعلامِ سيـــف الإله أســـدِ الإســـلام .[3]

ويتحدث أيضاً عن الصحابي **عمرو بن العاص** رضي الله عنه :

من كعمرو البلاد والضاد مما شاد فيها والملّة الغـــراء

---

[1] (دول العرب :٥١).
[2] (فهمي،١٩٥٩:١١٣).
[3] (دول العرب:٦٩).

شاد للمسلمين ركناً جساماً ضافى الظل دأبه الإيــواء .[1](الشوقيات)

* * *

ولم يتوقف شوقي عند الصحابة رضي الله عنهم فقط ، بل تناول أيضاً في مسيرته الشعرية أبرز القادة الإسلاميين في المراحل المختلفة ، ومن هؤلاء ، بطل من أبطال الإسلام عند شوقي ومن أهم زعماء الإسلام وهو **صلاح الدين الأيوبي** "فهو يشير إليه عند حديثه عن الأيوبيين في قصيدته كبار الحوادث في وداي النيل فيذكر لنا دفاعه عن الإسلام يوم أقبل الصليبيون يضمرون الفناء للإسلام فتلقاهم صلاح الدين بعزم صادق وروح عالية الإيمان،فكان بذلك حصن الإسلام الحصين:

إنه حصنه الذي كان حصنا وحماه الذي بــه الاحــتمــاء

يوم سار الصليب والحاملوه ومشى الغرب قومه والنســاء

يضمرون الدمار للحق والنا س ودين الذين بالحق جــاؤوا

فتــلقتــهم عــزائم صــدقٍ نُــصَّ للدين بينهــن خبــــاء

مزقت جمعهم على كل أرضٍ مثلما مــزق الظلامَ الضيــــاء

هكذا المسلمون والعرب الخــا لــون ما لا يقوله الأعــــداء.[2]

ونستمر مع شوقي حتى نصل لمدحهِ للخلفاء العثمانيين،والذي لم يخرج عن إطار النزعة الدينية والتوجه الإسلامي،بالرغم من الكثير من الانتقادات التي وجهت لشوقي في هذا المجال واعتبر مدحه للخلفاء العثمانيين للتزلف والتقرب ومن باب الخضوع للخليفة بغير وجه حق دون أن يعزى ذلك إلى نزعة دينية أو توجه إسلامي جعل شوقي يمدح الخليفة ويشيد بانتصاراته ،ونستطيع أن نلمس ذلك في كتاب شوقي ضيف (شوقي شاعر العصر الحديث) حيث وصفَ شوقي بأنه "رضيَ أن يكون موظفاً في القصر"[3]

---

[1] (الشوقيات:٣١).
[2] (المصدر السابق).
[3] (ضيف،٢٠١٠:١٤).

ونحن هنا لا ننكر أنَّ حياةَ القصر ومعاشرة الخديوي أثرت في شوقي،لكنه بقيَ التأثير السليم الذي استغله الشاعر ليحافظ على التفاف الناس حولَ خليفة المسلمين وفي ذلك صلاح المسلمين ووحدتهم وقوتهم. فهو "يمدح الخليفة محمد رشاد الخامس،فيرى الناس قد صدقوا الخليفة حبّاً وطاعة،وتمسكوا به والتفوا حوله،لأنه أصلح من أمر الخلافة فبنى حكمه على الشورى الحقّة ولم يستبد برأيه :

صَدَقوا الخليفة طــاعة ومحبـــــة وتمسكوا بالطهر مــن أذيالــه

جددت عهد الراشدين بســـــــيرة نسج الرشاد لهــا على منواله

بُنيتْ على الشورى كصالح حكمهم وعلى حياة الــرأي واستقلالــه[1]

وهو يمجد زعماء الإسلام أحياءً وأمواتاً،يمدحُ أحياءهم ويرثي موتاهم،وهو لا يخص منهم المصريين أو الأتراك وحدهم،إنما يمتد شعره فيضمهم بأجناسهم المختلفة،فهذا هو الزعيم الهندي المسلم "مولانا محمد علي" يموت ويُفتى بدفنه في القدس،فيسرع شوقي إلى رثائه ليكون شعره أنساً له في غربته،وسجلاً باقياً لجهاده في سبيل قضية الإسلام.أليس هو المسلم الذي لم ينسه وطنه الهند بقية الأوطان الإسلامية"[2] :

يا قدسُ هيء من رياضكِ ربوةٌ لنزيــل تربك و احتــفل بلقائــه

هو من سيوف الله جل جلالــه أو من سيوف الهند عند قضــائه

بطلٌ حقوق الشرق من أحماله وقضية الإسلام مــن أعــبائــه

لم تنســه الهند العزيزة رقــة للشــرق أو سهراً علــى أشيائه

نم في جوار الله ما بك غربة فــي ظل بيت أنت مــن أبنــائه[3]

ولعلّ هذا أدلّ دليل، وأبلغ ردّ على من اتهم شوقي بالتزلف للخليفة والخديوي ، فإذا كان شوقي كذلك ! فما شأنه في رثاء مولانا محمد علي الهندي ؟ بل وما شأنه في مدح صلاح الدين والصحابة وغيرهم من قيادات الإسلام ؟! .

---

[1] (الشوقيات:٢٠٢).
[2] (فهمي،١٩٥٩:١٢٤).
[3] (الشوقيات:١٢).

القسم الثاني: المواضيع التي نَظَم فيها شوقي و اصطبغت عنده بصبغة دينية وظهرت فيها هذه النزعة ، وهي :

١ -السياسة.

٢ -الأخلاق

١ -السياسة :

وكما أشرنا في الفصل الأول ، فإن شوقي قد عاصر أحداثاً عظيمة وجليلة عصفت بالأمة الإسلامية ومن هنا انطلق شوقي في شعره السياسي " فهو إذا مدح الخليفة ووصفه بالتقوى والصلاح لا ينسى أن يريد دعوته إلى الجامعة الإسلامية التي تشد من أزر المسلمين.وإذا مدح الأمير لتأديته فريضة الحج، حمّله إلى رسول الله رسالة المسلمين الذي أودى بهم السبات والتفكك"[١]

"لقد أحسّ شوقي بحق أنّ هدف الاستعمار من القضاء على الامبرطورية العثمانية استلزم من أدوات الاستعمار وتخريب الدولة من الداخل والخارج،فكان الفساد والظلم تنفيذاً لمخططات مدروسة.والمسلمون مطمئنون إلى دينهم لاهون عما يدبّر لهم.لقد فسدت الإدارة وفسد الحكم في مقر الخلافة وفي كل ولاياتها ووصلنا في مصر إلى احتلال عسكري بريطاني وكان شوقي ما يزال في عنفوان شبابه وتوهج موهبته الشعرية...فالتهب حماساً للدفاع عن الدولة العثمانية رغم فساد الإدارة والحكم مخترقاً كل الصيحات التي تنادي بسقوطها...

وكانت الأحداث السياسية ،ومطامع الدول الأوروبية في العالم العربي والاسلامي تضطر شوقي إلى أن يربط بين الإسلام وتركيا هذا الربط.ولم يكن ليستطيع أن ينحاز عن الخلافة الإسلام أو عن تركيا وهو يعلم أنها الجامعة الإسلامية،ويرى هو وغيره من الساسة والأدباء أن الدول الغربية تتلهف على تمزيقها واحتلال ولايتها.وليس أدل على أن العاطفة الإسلامية كانت أوثق

[١] (فهمي،١٩٥٩:١٥٢).

الأواصر التي تعمل شوقي بالخلافة العثمانية من أنه ابتغى من مدحه السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٥ ثواباً من الله وزلفى إليه لا طمعاً في عطايا السلطان وهباته :

وما زلت حسان المقام ولـــم تـــزل تليني وتسري منك لي النفحـــات

زهدتُ الذي في راحتيك وشاقنـــي جوائـــز عـــند الله مبتـــغيـــــات

ومن كان مثلي أحمد الوقت لم تجز عليه ولو مـــن مثلك الصدقـــــات.

وقوله في قصيدة أخرى انه يدافع عن الخلافة حبّاً لله ولدينه وأنه سيقضي حياته كلها ذائداً عن الخلافة :

عهد الخلافة في أول ذائد عن حوضها بيراعه نضاح

حب لذات الله كان ولم يزل وهو لذات الحق والإصلاح."[١]

"ومن أوائل شعر شوقي السياسي دعوته إلى الجامعة الإسلامية التي آمن بها لأن فيها تكتل المسلمين وقوتهم وتنبيههم من غفلتهم وإعدادهم لمواجهة الاستعمار ، فهو يدعو إليها في قصيدته إلى عبد الحميد التي مطلعها :

رضي المسلمون والإسلامُ فرعَ عثمان دُمْ فداكَ الدوامُ

ويدعو إليها كذلك في قصيدته "مرحباً بالهلال" التي نظمها سنة ١٩١١ حاثّاً المسلمين على الاتحاد الذي هو أقوى دعائم القوة"[٢]

ويستمر شوقي في إسلامياته السياسية التي نظمها في مختلف الحوادث والمناسبات،فهو ينظم فرحاً لانتصار الدولة العثمانية ،الذي هو انتصار للإسلام والمسلمين :

بسيفكَ يعلو الحق والحق أغلب وينصر دين الله أيان يضرب

فأدّب بـــه القوم الطغـــاة فإنـــه لنعم المربـــي للطغاة المؤدب

---

[١] (عبد الكريم،١٩٨٥:١٩).
[٢] (فهمي ،١٩٥٩:١٥٥).

وتمّ لنا النصر المبين على العدا وفتح النعالي والنهار المذهبُ[1]

ويقول من قصيدة أخرى :

بحمد الله رب العالمينا وحمدكَ يا أمير المؤمنينا

لقينا في عدوك ما لقينا لقينا الفتح والنصر المبينا

بني عثمانَ إنا قد قدرنا فتوحكم الكبار وقد شكرنا

سألنا الله نصراً فانتصرنا بكم والله خير الناصرينا[2]

وفي المقابل، نجد شاعرنا تفيضُ مشاعره بالحزن العميق والأسى إذا أصيبَ بلدٌ إسلاميّ،ويرثيه كما لو أنّه يرثي قطعةً من نفسه ، ونلمس في شعره معانيَ عميقة من الانتماء والإحساس بكل بقاع الإسلام شرقاً وغرباً ، فعندما سمع بغلبة البلغار على مدينة أدرنة سنة ١٩٢١،ذكره ذلك بالأندلس الضائعة من المسلمين ، فينظم في ذلك لوحةً من الأسى والحسرة، تدمع العين والقلب :

يا أخت أندلسٍ عليكِ سلامُ هوت الخلافة عنــك والإســـــلام

جرحانِ تمضي الأمتان عليهما هــذا يسيــل وذلك لا يلتـــــــام

لم يطوَ مأتمها وهذا مأتم لبسوا السواد عليك فيه وقامــوا

بالأمس افريقيا تولت وانقضى ملكٌ علــى جيد الخضم جســام

واليوم حكم الله في "مقدونيا" لا نقض فيه لــنا ولا إبـــرام.[3]

ونجدُ تلك الروح أيضاً ، في قصيدته "نكبة دمشق" ، ألمْ تكن معقلاً من معاقل الإسلام والخلاقة :

---

[1] (الشوقيات:٢٠٨).
[2] (المصدر السابق:٣٩).
[3] (المصدر السابق:٢٧٢).

ألستِ دمشقُ للإسلامِ ظئراً و مــرضعة الأبوة لا تعقّ

صلاح الدين تاجك لم يجمّل ولم يوسم بأزينَ منك فرقُ[1]

وهكذا ، تستمر قصائد شوقي ، في الخلافة ومدح الخليفة ، والاشادة بالانتصارات، ورثاء الهزائم والخسارات ، نُطالع منها الكثير في ديوانه ، لا تخبو فيها روح الإسلام، وتظهر فيها الشخصية الدينية قبل أيّ شخصية أخرى قد نلمحها هنا أو هناك ، كالروح الوطنية أو القومية أو غيرها .

٢ ـ الأخلاق :

"لقب النقاد أحمد شوقي بشاعر الأخلاق لكثرة تكرار ذكره لهذه المسألة في شعره ولاحظنا أن قضية الأخلاق تعتبر همّاً شغل بال الشاعر ، وكان عليه أن يجسد ارتباطه بهذه القضية المهمة وأن يوصلها للناس إبداعاً مميزاً ويجعلهم يتفاعلون معه ، استطاع الشاعر بموهبته الفذة أن يجعل من موضوع الأخلاق موضوعاً إنسانياً لا حدود له ، فيقع القاريء لشعر أحمد شوقي الأخلاقي تحت طائلة التفاعل والتجاوب باعتبار الأخلاق همّا من هموم المجتمع وأفراده وتمكن الشاعر من استخدام مفردات ذات مغزى ومعنى واضحين جسّد من خلالهما ما يصبو إليه ومن الأهمية التأكيد على أن قضية الأخلاق والالتزام مسألة ضاربة في أعماق الإبداع الأدبي وأثارت العديد من النقاش والسجال ولا زالت .[2]

ولعلّ جولة في بعض ما قال شوقي عن الأخلاق تكفينا مؤونة شرح وتفصيل ذلك الجانب الأخلاقي البارز في شعر شوقي:

صلاحُ أمركَ للأخلاق مرجعه فقوّم النفس بالأخلاق تستقِم

* * *

[1] (الشوقيات:٧٢).
[2] (محمد،٢٠٠٩:٢).

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقهم عليهم مأتماً وعويــلا

* * *

بنيت لهم من الأخلاق ركناً فخانوا الركن فانهدم اضطرابــا

وكان جنابهم فيها مهيــباً وللأخــلاق أجــدر أن تهــابــا

* * *

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب

* * *

وإذا الأخــلاق كــانت ســلماً نــالت النــجم يد الملتمــس.

* * *

ولقد يُقامُ من السيوف وليس من عثرات أخلاق الشعوب قيامُ

الفصل الثالث :

– سمات شعر شوقي الإسلامي

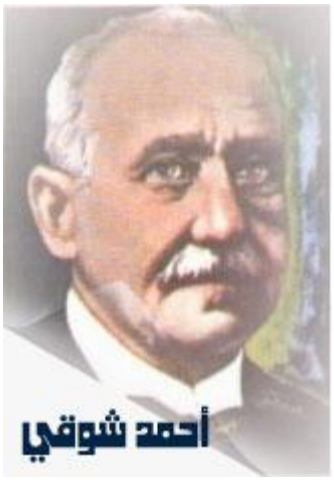

سمات شعر شوقي الإسلامي:

وفي محطتنا الأخيرة هنا ، نحاول أن نتعرف أهمّ السمات التي ميّزت شعرَ شوقي الإسلامي ، فمما لا شكّ فيه أنّ هذه الروح التي لمسناها ، وتلك المعاني التي انتشرت في قصائده ، كانَ لها خلفية في وجدان الشاعر ، شكّلت له نقطة الانطلاق وجوهر التألق في إتقان ما نظَم في هذا المجال .

وقد تعرضت الدكتورة سعاد عبد الكريم لهذا الموضوع، في كتابها (اسلاميات أحمد شوقي) ، وفصلّت فيها تفصيلاً مطولاً ، لكننا هنا سنوجز الحديث بما يفي بالغرض :

" كان التراث الديني ولا يزال في كل العصور ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري،حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية،والأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني ، أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني.فقد كان الكتاب المقدس مصدراً للشعراء الأوروبيين الذين استمدوا منه الكثير من الشخصيات والنماذج الأدبية،وقد فُتن الرومانتيكيون بشكل خاص بهذه الشخصيات الدينية المتمردة المطرودة ، كشخصية (الشيطان) وشخصية (قابيل) القاتل الأول ، وقد جعلوا من هذه الشخصيات نماذج للتمرد على كل ما هو عادي، وكل ما هو مقرر ومفروض ،وعبروا عن تعاطفهم الكبير مع ما عانته هذه الشخصيات من عذاب ولعنة جزاء تمردها .

وإذا كان " الكتاب المقدس " هو المصدر الأساسي الذي استمد منه الأدباء الأوروبيون نماذجهم الدينية، فإنّ عدداً كبيراً منهم قد تأثر ببعض المصادر الدينية الإسلامية ،وفي مقدمتها " القرآن الكريم" واستمدوا من هذه المصادر الإسلامية الكثير من الموضوعات والشخصيات التي كانت محوراً لأعمال أدبية عظيمة.

ومن الشعراء الأوروبيين الكبار الذين استلهموا المصادر الإسلامية في أعمالهم الأدبية الشاعر الإيطالي الكبير "دانتي" ، في ملحمته الشهرية " الكوميديا الإلهية" ، حيث استلهم فيها حديث المعراج النبوي ، وغيره من المصادر الإسلامية والعربية.

فلم يكن غريباً إذن أن يكون الموروث الديني مصدراً أساسياً من المصادر التي عكف عليها شعراؤنا الإحيائيون ، ومنهم أحمد شوقي ، واستمدوا مادتهم الشعرية وعبّروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم ، ويمكن أن نصنف الشخصيات التي استمدها شوقي من الموروث الديني إلى مجموعات : شخصيات الأنبياء ، شخصيات مقدسة ، شخصيات منبوذة.

وأكثر شخصيات الرسل شيوعاً في شعر شوقي ، شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، و (عيسى) و (أيوب) و (يوشع) ، وغيرهم عليهم الصلاة والسلام.

وكما ذكرنا ، شوقي بما انطبعت عليه نفسه من ايمان بالله وبالغيب ، ومن حب لرسول الله صلى الله عليه سلم ، أكثر من مديحه ، حتى عدّ من أبرع الشعراء الذين قالوا في المدائح النبوية في العصر الحديث .

أما عن المسيح عيسى عليه السلام ، فقد رأى شوقي فيه كثيراً من القيم مجسمة ، وما حفّت بعيسى عليه السلام من ظروف كثيرة ، فحيثما اتخذ عيسى صورة نجد سلاماً ومحبةً وتسامحاً ، يقول :

ولد الرفقُ يوم مولد عيســـى والمروءات والهدى والحياء

ومعظم ملامح السيد المسيح في شعر شوقي مستمدة من الموروث الديني المسيحي ، وخصوصاً : الصلب ، والفداء ،والحياة خلال الموت ،والمعجزات .

ويأخذ شوقي من خلال هذه العناصر المستمدة من الموروث المسيحي دلالات يسقطها على شعره ، فعلى ملمح الصلب والصليب ، يُسقط كل الآلام التي يتحملها الجند ويبرز إخلاصهم في سبيل الدفاع عن الوطن :

حملّ الصليبُ إليكَ من فتيانه جنداً ، وقاتل دونكَ (الحاخامُ)

وإلى جانب ذلك فهناك مفهوم إسلامي ، يتمثل في تلك الملامح من شخصية المسيح التي وردت في القرآن الكريم ، مثل قدرته على إحياء الموتى ، قال شوقي في تشبيه السلطان عبد الحميد بالنبي عيسى عليه السلام في إحيائه الموتى :

فأحييتَ ميتاً دارسَ الرسمِ غابراً كأنكَ فيما جئتَ عيسى المقرب .

فالسلطان عبد الحميد يحيي العرش ، والنبي عيسى يحيي الموتى .

وكذلك أيضاً نجد حضورَ شخصية نبي الله موسى عليه السلام ، فقد صور النبي موسى وما حفّ به من ظروف ، ومن ذلك تشبيهه مصر حين ضاقت به على الرغم منها فركب الموج وخرج إلى المنفى ، بأمّ موسى حين ألقته في اليمّ صبياً ، وسألت الله أن يكفله ، قال:

كأمّ موسى على اسم الله تكفلنا وباسمه ذهبت في اليمّ تلقينا

أمّا عن الشخصيات المقدسة التي وردت في شعر شوقي ، فمنها شخصية (مريم العذراء) عليها السلام وقد استخدمَ شوقي ملامح هذه الشخصية للتعبير عن تجارب مختلفة ، منها الطهر ، إذ شبه الشاعر بعض من مدحهم أو رثاهم من النساء ، ومنهم والدة الخديوي ، بمريم العذراء بقداستها وطهرها ، يقول :

و ربة العرشين في دولتها قد ركبت اليوم عرش العالمين

أضجعت قبلك فيه (مريم) وتوارى بنساء المرسليـــن

ومن الشخصيات المنبوذة ، وردت في شعر شوقي بعض الشخصيات التي ارتكبت خطيئةً فحلت عليها اللعنة ، وعلى قمة هذا النوع يقف الشيطان ، والشيطان عند شوقي معادل موضوعي لقوى الشر والتمرد والخروج عن الإرادة ، ويتخذه رمزاً لذلك ،ويبني ذلك على حقائق دينية مشتركة ، فهو عندما يصف علم الترك يرمز له بالملك ، أما أعلام الأعداء فرمز لها بالشيطان ، فالمحور مشترك عناصره زوجان متقابلان الملك والشيطان ، إذ يقول :

هذا الهلال الذي تحيون ليلته أبهى الأهلة عند الله ألوانـــا

أراه من بين آلام الوغى ملكاً وما سواه من الأعلام شيطانـــا"[1]

وهكذا نستمر مع شوقي في تأثره بهذه الشخصيات ، التي استقاها من منبع دينيّ خالص، فيدلل كل ذلك على أنّ أبرز سمة نستخلصها لشعر شوقي الإسلامي هو تأثره بالشخصيات التي وردت في القرآن الكريم على اختلاف نوعيتها ، فهو متأثر في شعره بالأنبياء الذين كثر ذكرهم في سياق الحديث عنهم بشكل مباشر ، أو في سياق تشبيه قصصهم وشخصياتهم بما يصادف الشاعر في واقعه ، ونرى ذلك أيضاً في الشخصيات المنبوذة كالشيطان على حدٍ سواء.

وهذا ليس غريباً على شاعرٍ يُعرف بنزعته الدينية ، فلولا تأثره بالمعاني الدينية قبل كل شيء لما ظهرت هذه النزعة في شعره ، ولولا شيوع المعاني القرآنية ، والمصطلحات الدينية في أبيات شعره ، لما وصفتْ بأنها اسلامية .

[1] (عبد الكريم،١٩٨٥:١٥٨).

خاتمة :

لقد كان شوقي مرحلةً مهمة في مراحل الشعر العربي ، ولقد اشتغل بشعره كثير من رواد الشعر ، وسيظل على مر الأيام مدخلاً يتوصل به إلى خصائص الشعر القديم ، وفي نفس الوقت مَعلَماً إلى ما توصل إليه شعر العرب في عصر النهضة .

ومكانته في الشعراء ليست بينهم ، فهو أميــرهم ، وفي هذا البحث تناولنا جانباً مهماً من جوانب شعره ، لم يكن ظاهرةً عابرة ، ولا نزوةَ آنيّة ، بل كان ركيزةً أساسيّة ، انطلق منها شوقي في نظْم الكثير من أشعاره ، خاصةً ما تعلق منها بأحوال الأمة الإسلامية وما يحيط بها من ويلات وحروب .

وقد حاولتُ في هذا البحث استقصاء هذه الجوانب ، والإلمام بنظرةٍ كلية عنها، وإنصاف شوقي مما ذُكر عنه من مجرد الخضوع للخليفة العثماني، لأنه صاحب نعمته ، أو اتخاذه مدحه وظيفةً له ، مجردةً عن أيّ معانٍ أخرى ، ففي هذا البحث نجد مما لا شك فيه أن معاني مدح الخليفة والخلافة تجذرت في نفس شوقي من منطلق ديني أولاً وأخيراً ، هدفه وهمّه وحدة المسلمين والتفافهم على خليفتهم ، لأن انفصام هذه العروة يعني تفكك المسلمين ،وهو ما حدث بالفعل عند سقوط الخلافة العثمانية.

المصادر والمراجع :

*** الكتب**

- شوقي ، أحمد : الشوقيات ، بيروت ، دار الكتب العلمية.

- عبد الكريم ، عبد الوهاب ، سعاد (١٩٨٥):اسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية، القاهرة ، مطابع أهرام الجيزة.

- ضيف ، شوقي : (٢٠١٠) : شوقي شاعر العصر الحديث ،القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

*** المجلات :**

- محمد ، عبد الهادي (٢٠٠٩) : الأخلاق في شعر أحمد شوقي ،مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية،العدد الخامس.

*** المواقع الالكترونية :**

- موقع باب الالكتروني : www.bab.com/articles/full_article.cfm?id=4853

- موقع قصة الإسلام :/http://www.islamstory.com

- موقع المكتبة الشعرية الالكترونية :

http://www.egyptsons.com/misr/showthread.php/51075-